٢٥ قرشا او ما يعادلها

فلسطين

ملحق المحرر ٥٦٦ — الخميس ٢٠ ايار ١٩٦٥ — العدد (١٥)

الأرض

قصة المقاومة في فلسطين المحتلة

سقوط يافا

منظمة التحرير في تجربة عام كامل

■

وجهة نظر مسؤولي المنظمة

■

نقد ذاتي

بريشة ناجي

« عن الطليعة الكويتية »

(بعد مرور اكثر من تسعة اشهر)

— لازم تجيبي باروده ... ولا بتكوني طالفه ..!

● كشف حساب مكتب منظمة التحرير في الكويت ●

البريـــد

بريد هذا العدد حافل بالاحاسيس الثورية النابعة من النفوس الكبيرة المتوثبة الى معركة الثأر ، معركة العودة ، عودة الكفاح المسلح دون الالتفات الى نغمات المساومة والمهادنة وانصاف الحلول .

« فلسطين »

● اسعد عباس - مخيم الرشيدية صور

« ساسير... »

وسكون الليل ... قد مل صدري
كالاسير .
لا تسلني ، لست ادري
انها صيحات قلبي والضمير
كيف ابقى ، وجنى بي كل غدر ؟؟!
يا الهي !.. ساسير
حيث داري قربها البوم نعا
وحزين الدمع في يافا بكى ،
ودعاني .
والكؤوس ...
قد طفاها ، دم كرمي
فاستقاها .. كل ذئب من دناني .
كيف ارضى ؟.
لست ارضى ... ساسير
حيث ارضي وبقائي.
وحياتي والمصير ...

سبع حمو - بيروت

في لقاء مع صديق ايراني قال « لي » قضية فلسطين قضية شعب ايران وحاشى ان يقف الشعب الايراني ضد حقوق الشعب العربي في بلده فلسطين، مهما حاولت عصابات الصهيونية والرجعية الحاكمة في ايران من ان تفصم الروابط عبر العصور بين العرب وايران .

ان ايران هذا البلد المكبل بقيود الاحلاف الاستعمارية سيظل دائما في طليعة الدول التي تؤيد حقوق شعب عرب فلسطين .

فؤاد شريدي - ميناء طرابلس

عبر المدى الدامي ...
خلف اسوار المدينه
وليلي الداجي ...
واشباح السكينه
وغربتي وخيمتي ...
وابنتي الحزينة
عارنا والليل ...
ورماد الامس
وبقايا من خيال
واغنية كالهمس
تنوس في صدور الرجال
وشاعر ... يرنو من الرمس
وروحه ما تزال
في دروب الشمس
مشلولة الاوصال
تستمطر الدمع ...
ضياء وقصائد

● غالب كريم - مخيم نهر البارد - طرابلس

ايه شرقنا الرهيب الحميم ، ايه شرقنا الوطن الحبيب ايها النور المنبلج امام حماتك الفاضلين ايتها الشعلة امام ابنائك الميامين ايا من بذكرك قد رفعت رؤوس ابنائك الفرسان ، ايا من بخلودك قد خلدت اسم شعبك الكريم. قم وانهض فقد حان النهوض لترى وتسمع انين الشيوخ .

قم يا برج الفجر ومشعل الضياء وخلص شعبك الامن وضع النور بدلا من الظلام الذي يخيم عليهم سنين طويلة .

ولكن ماذا نقول ما دامت هناك ايد تعمل لصالح الاجنبي ، يد الرجعية والخونة الذين باعوا ضمائرهم بغية اشباع شهواتهم الدنيئة .

ونحن نعلم يا شرق ان اهات محرقة تندلع من فيك ونعلم انك تريد النهوض وتحيا لاننا سنداوي هذه الاهات بالكفاح والجهاد .

● سليمان احمد اشنيوره - بيروت

في تونس ارض الثورة ،
باراباس آخر ...
يعوي كالكلب يقامر
بحياتك يا وطني الثائر
بمصير العرب وبالفجر النافر
اوهام لمجنون خاسر
يخرج في الليل كخفاش طائر ،
اعمى متامر
لا تخجل
يا لصا يسرق من بحري الهادر
موجة عرب
يسرق من عيني ناطور ساهر
بسمة حب
يخطف من غيماتي غيمة
يغتال من الحقل الزنبق
يصنع اقمارا من وحل ،
يحلم في تمزيق البيرق
ياكل من لحم الثوار
يا سارق من حقل القمة
احلى الازهار

● مصطفى خضر الخطيب - الكويت

انا نفحة ثورية
انا شعلة قدسية
انا من نكبت وعابني
انا من شتمت وهلني
انا من ابيحت حرمتي
لكني مع ذلك من اسود كلره
لكنني بكرامتي
لكنني بشهامتي
انا عائد مهما تالبت الايادي الغادرة
انا عائد رغم التحدي في جيوش هادره
انا صرخة متناصره
منذ القرون الغابره
زيف الذئاب الماكره
طيش القلوب الفاجره
عند الشعوب الكافره
فوق النجوم الزاهره
ارعى العقول القاصره

● ماجد عبد الرزاق - بيروت

نحن الشعب العربي الفلسطيني نرفض اقتراحات بورقيبة بشان القضية الفلسطينية ونصف تصريح بورقيبة بانه جزء من خطة استعمارية مدبره وان بورقيبة قد خرق مؤتمر القمة العربي وميثاق الجامعة وان قضية فلسطين ليس لها الا حل واحد وهو عروبة فلسطين ، لا تقسيم ولا تدويل ولا توطين بل استرجاع فلسطين بكاملها وعودة الشعب الفلسطيني الى ارضه لا ينازعه فيها دخيل .

● اسعد حسين عباس - مخيم الرشيدية - صور

المدفع الرشاش يهوي قبضة الحر العنيد
صيحات شعبي غنوة الرشاش في ايدي الشهيد
فاخ السلاح بامتي جبار يعصف للحدود
فالى متى وبلوعة الحرمان ، يقعدنا الجمود ؟
والى متى في قدسنا تلهو شراذمة اليهود ؟؟!
قسما بروحك يا اخي سأسير دربي في صمود
قسما ورب عقيدتي ساظل في الركب العتيد
وبقبضتي الرشاش يعزف صاخبا لحن الخلود
سأخط لوحة «عائدون» باحمر الجرح الحديد
ان مت يحمل رايتي جبار معركة جديد ...

● سكران عبد الله - مخيم القاسمية - صور

وطن واحد .. وامة عربية واحدة .

كلمات تنطق من حناجر قوية توحي بها قلوب عامرة بالايمان وبحقها في الحياة . كيف لا وهناك عدو واحد لدود يتربص بنا في كل مكان وزمان ولقد كشف الاستعمار عن وجهه الكالح. فكان العدوان الثلاثي على مصر عدوان تتمثل به ابشع الجرائم من تقتيل وتدمير .

وكيف لا ننسى الاستعمار وجرائمه المتكررة التي قاسى منها كل بلد عربي من بيروت الى دمشق ومن فلسطين الى العراق فالاردن. ومن المغرب العربي الى مصر فاليمن . ثم امارات الخليج العربي كلا ... لن ننسى جرائم الاستعمار وها نحن قدمنا ونقدم ضريبة الدم في كل يوم لنتخلص من نيره ونتخلص من اذنابه

ولا بد لليل ان ينجلي
ولا بد للقيد ان ينكسر

● معين محمود - برج حمود بيروت

تمر السنوات والعدو الغادر يتحكم باراضيك ، يستغل خيراتك ، مياهك ، هواءك ، سماءك ، يستغل كل حجر وكل ذرة تراب .

تمر السنوات يا فلسطيننا ، واعيننا محرومة من رؤية التربة التي روتها دماء شهدائنا الابرار ...

تمر السنوات والنازحون في الخيام البالية ، يتحرقون شوقا لجولة الثار.

سنعود يا فلسطين ... سنعود اقوياء ندك صروح الظلم من اساسها .

سنعود يا فلسطين ... الى ديارنا ، الى بيوتنا ، الى جبالنا ، ووهادنا ، وشواطئنا اكثر عزما وقوة ...

سنعود مواكب وسرايا ... وما اقرب يوم اللقاء ... انه قريب قريب، والظلام الذي سادك طوال مدة التشريد بشرق عن فجر جديد لا اصفى منه ولا انور .

فمرحبا بيوم الثار .. يوم العزة.. يوم الكرامة ... يوم الفداء ... والنصر لنا .

... واننا عائدون

● حسن معروف - سبلين

هاتها كأسا دهاقا
من رفاة الخالدين
وامزجيها بدموع
من مآقي العائدين
اسقنيها كل صبح
باغان من انين
روحي الظمآن نار
اخفت الضوء سنين
خمد البركان فيها
في قصاع الجائرين
وتعالت من عميق
هتفات الثائرين
صرخات كرعود
توقظ الميت الدفين
في حشاها ثورة
ومضاء وحنين
أرى الابطال تغدو
كشبول من عرين
زحفها الاعصار يلوي
كل غث وسمين
وطيور النصر تشدو
مع اغاني الزاحفين
صبحنا حان فهيا
يا رفاقي المبعدين
نزرع الدرب مواتا
وجماجم مارقين
يومنا خود تغني
ان شمس الحق تغني
ان شمس الحق تغني
كل جبار مبين
لسنا بعد بجاهلين
لسنا بعد بلاجئين

فلسطين عام ١٩٦٥

بقلم وليد الخالدي

فيما يلي مقاطع من الكلمة التي القاها وليد الخالدي في اسبوع فلسطين في بيروت

اذا كان عام ١٩٦٥ مليئا بالعبر خاصة على صعيد العلاقات بين الدول العربية والغربية فانه مليء بالعبر كذلك بالنسبة الى الصعيد العربي ، خاصة من خلال دراسة ما يمكن تسميته بالبدعة التونسية التي فوجئنا بها منذ اسابيع .

لا اود ان ادخل هنا في الشخصيات ولا حتى في الدوافع والغايات بل قصدي في الدرجة الاولى التوقف عند فرضيات هذه البدعة الاساسية لاختبارها على محك الوقائع والاوضاع واني رغما عن استعمالي لعبارة البدعة انظر الى الامر بفضول ذهني مخلص :

ان البدعة التونسية تستند الى ثلاث فرضيات اساسية هي :

(١) قياسية الوضع بين العرب واسرائيل بوضع تونس تحت الاحتلال الافرنسي .

(٢) فوز تونس باستقلالها نتيجة تبنيها لسياسة المرحلية .

(٣) امكانية تطبيق المرحلية التونسية بشهادة صاحبها على الصعيد العربي - الاسرائيلي .

اولا : ماذا كان الوضع في تونس ؟

اتصف الاحتلال الفرنسي لتونس بجميع خصائص الاحتلال الاجنبي لاي بلد اخر من اخضاع مرافق الحياة عامة للسلطة المركزية الاجنبية ومحاولة فرض ثقافة الدولة المحتلة على البلاد .

اما ما قيل من ان الشعب التونسي كان يواجه استعمارا توطينيا فهذا بالواقع غير صحيح اذ يلاحظ ان عدد السكان الفرنسيين عام ١٨٨١ عند الاحتلال كان ٣،٥٠٠ ولم يبلغ عام ١٩٣٦ الا ١٠٨،٠٠٠ من اصل ٢٤٠٠،٠٠٠ وبلغ عام ١٩٥٦ عشية الاستقلال ١٨٠،٠٠٠ مقابل اصل ٣،٤٠٠،٠٠٠ وبذلك يكون عدد الافرنسيين قد بلغ بعد ٧٦ سنة من الاحتلال الفرنسي ٢،٥ بالمئة فقط .

ويلاحظ ايضا ان هذه الزيادة كانت في جزء كبير منها نتيجة الزيادة الطبيعية الداخلية وتجنس مختلف الطوائف المحلية بالجنسية الافرنسية وليس نتيجة هجرة خارجية .

يجب ان نقابل هذا بحوالي ال ٥٠٠،٠٠٠ يهودي الذين دخلوا فلسطين في السنوات الثلاثين ما بين ١٩١٧ - ١٩٤٧ بحيث اصبحت نسبة اليهود سنة ١٩٤٧ - ٣٥ بالمئة من مجموع سكان البلاد .

ثم ان الفرنسيين في تونس كانوا في معظمهم من سكان المدن والملاكين الكبار ولم يقطنوا او يحاولوا ان يقطنوا البر بل كانوا على العكس يستعملون اليد العاملة التونسية في مزارعهم وهو نهج لا يتفق مع السياسة التوطينية الاصيلة التي ترمي الى خلق جيل مزارع من الشعب المهاجر على حساب الفلاح المواطن .

★

وبعد، فالهجرة الصهيونية الى فلسطين هي الهجرة - الغزو من النوع الذي يغير مجرى التاريخ لا تختلف في جوهرها واهدافها عن هجرة العنصر الاسباني الى اميركا الجنوبية وهجرة العنصر الانجلوسكسوني الى اميركا الشمالية وهجرة العنصر التوراني الى اناضولية

هدف الهجرة الغزو الصهيونية احتلال المنطقة بين شواطىء البحر المتوسط الشرقية والصحراء الداخلية باتجاه الفرات واجلاء سكانها الاصليين ودرس معالم حضارتهم وصبغ البلاد بصبغة المهاجر الغازي .

ولقد اثبتت الهجرة الغزو هذه على حركية تتفجر طموحا في كل اتجاه وعلى مقدرة على استغلال الظروف الدولية وتسخيرها خدمة لاغراضها وعلى طاقة للتلبس بالذريعة تلو الذريعة تغطية لامتدادها المتواصل .

★

لا يسع الذي يتمعن بهذا كله الا ان يقر ، نظرا لهذه الحركية في الماضي وللغاية المعلنة بصراحة على لسان رئيس وزراء اسرائيل منذ شهر واحد فقط بجعل سكان اسرائيل ثلاثة ملايين سنة ١٩٧٠ واربعة ملايين في العقد الذي يليه، لا يسع الذي يتمعن في هذا كله الا ان يعتبر اسرائيل الحالية بمثابة راس الجسر لهذه الهجرة الغزو ليس الا .

★

وتجدر الاشارة هنا الى ميزتين تتمتع بهما اسرائيل على العرب في هذا الصدد :

● الاولى : كونها واحدة وهذه ميزة تعطيها السرعة في الحركة والمناعة النسبية ضد التدخل او التاثير الاجنبي اما العرب فكونهم حلفا يزيد بالواقع من ضعفهم اذ ان ادارة الاحلاف ولا سيما الاحلاف العربية من اصعب فنون السياسة اطلاقا .

● اما الميزة الثانية فهي ان لاسرائيل جبهة واحدة هي الجبهة العربية بينما للعرب بطبيعة اوضاعهم التاريخية والكيانية جبهات في اتجاهات عدة غير اسرائيل، وتنتج عن هذه الميزة لاسرائيل فائدتان اساسيتان اولا : ان القوى الاسرائيلية « من عسكرية وغير عسكرية » تنصب بحكم وجود جبهة واحدة انصبابا كليا ضد العرب .

وثانيا : ان كل كسب تحرزه اسرائيل يظهر اثره مباشرة على الصعيد العربي - الاسرائيلي بينما تتوزع القوى العربية يتوزع الكسب

ان الصراع بين العرب واسرائيل يختلف نوعا وجوهرا عن تجربة الاحتلال الاجنبي وحتى عن تجربة الاحتلال التوطيني ففي الاحتلال التوطيني لا يستبعد ان يتخلى الوطن الام عن الرعايا المستوطنين كما حصل في الجزائر لان الامر في نهاية المطاف ليس حياتيا بالنسبة للام .

ان البدعة التونسية مع هزالة فرضياتها لجديرة بالاهتمام البالغ ذلك لانها تشير ليس فقط الى الثغرة في الوعي العربي بالمغرب وهي ثغرة لا بد من سدها ولكنها لانها تجعل المرء يدقق حتى في الادراك المشرقي الفعلي للخطر الداهم .

الادراك العربي للخطر

والواقع ان الادراك العربي حتى في المشرق لا يزال بالفعل في فترة « اللحاق بالاحداث » ولا يزال في صميمه « اي من حيث الترجمة العملية للشعور والنزعات وحتى من حيث الشعور ذاته بعيدا في عدد من البلاد عن تفهم الابعاد الجديدة التي اكتسبتها القضية الفلسطينية منذ ١٩٤٨ .

والواقع ان القضية الفلسطينية لغاية ١٩٤٨ بقيت ضمن نطاق المجابهة الحقيقية بين الصهيونية العالمية والشعب الفلسطيني غير انها بعد تحطيم الكيان الفلسطيني دخلت مرحلة جديدة هي مرحلة المجابهة بين الصهيونية العالمية والامة العربية باسرها.

هل لحق الشعور العربي بهذه المرحلة فعلا؟ انا لا اقول بعدم اكتراث الشعوب العربية بقضية فلسطين ولكني اقول ان الشعور العربي نحو فلسطين لا يزال اضعف من ان يشكل المنطلق المطلوب لنوعية العمل الارادي الذي لا مندوحة منه للوصول الى الغاية المنشودة وهي الحسم العسكري .

لا ابالغ اذا قلت ان ميزة النظرة العربية الاساسية الى فلسطين هي العطف على الشعب الفلسطيني ولكن من مفارقات الامر ان المطلوب من الشعوب العربية ان تكون اكثر انانية لتتبين حقيقة الخطر الصهيوني عليها هي بحيث ينقلب اللحاق بالشعور الى اللحاق بالعمل الفعلي لتكون المجابهة الحقيقية للصهيونية العالمية .

ان مقياس نضوج اللحاق بالشعور هو ان ينقلب توا وبصورة تلقائية الى اللحاق بالعمل فاللحاق بالشعور الحقيقي حالة لا تطيق عدم التنفيذ ، وهي من نوعية لا تقبل التسويق كنوعية الادراك للخطر الداهم الذي املى على المعسكر الغربي الراسمالي والمعسكر الشرقي الشيوعي ان يتناسيا التناقضات بينهما ليضعا مهمة تحطيم النازية فوق وقبل كل اعتبار اخر، فهل تشير اوضاع التجزئة والانفصال مهما كانت المبررات اللفظية الى اننا وصلنا الى هذه النوعية من الادراك؟

ان المنطلق الاساسي هو الادراك بان القضية ليست قضية تحرير فلسطين بقدر ما هي قضية تحرير الوطن العربي تحريرا يكون من نتائجه استرجاع الارض الفلسطينية الطيبة .

ان الدور الفلسطيني ينتظم ضمن هذا الاطار بل لا ارى معنى ايجابيا له الا ضمن هذا الاطار فالقول بان « الشعب العربي الفلسطيني الاداة الاولى والاساسية في تحرير فلسطين قول مسؤول اذا كان يشير الى المدخل الى الالتحام العسكري في ظروف معينة لكنه في نظري دون الادراك الجدي لفداحة الخطر والحاحه اذا كان بديلا للتعبئة الشاملة لكافة الطاقات العربية والالتفاف غير المشروط حول عاصمة الامكان والامل العربي .

لا اعني ان الدور الفلسطيني دور ثانوي بل بالعكس فهو دور في غاية الخطورة نسبة لهذه الاوضاع العربية التي اشرت اليها وهو دور نذير الامة وضميرها يستلهم من ذاكرته والامه مسؤولية ذاتية تجاه التاريخ ويستمد من تبعثره في ارجاء الوطن قوة واي قوة وهو في الوقت عينه دور راس الحربة وقدوة الفداء .

بيد انه لا بد كممارسة هذا الدور من تنظيم يعكس طاقاته الفتية المنظمة من نقابية وطلابية وغيرها لتنبثق عنها قيادة جماعية ثورية تعمل اكثر مما تتكلم في صمت عنيد مثمر كالذي ترتاح اليه ارواح شهدائنا فلا تخلي اثاره على احد .

وبعد فلو كان الزمن افقا يمتد لنا لا متناهيا، لهان الامر لكننا على موعد ولربما الموعد اقرب ما نظن والعدو يعد العدة لتسديد ضربة معيقة تحت ستار حماية التحويل وهو يامل بذلك ان يكسب الوقت لينشر قبل نهاية هذا العقد مظلة نووية يستظل بفيئها .

فهل يتعرف العرب على عدو لدود قاتل، ازاح القناع عن وجهه وقدم لهم بطاقته، وعرفهم على نفسه وتخطى العقبة واصبح في داخل الدار

١٥ أيار

لا ، لم تنس « فلسطين » ١٥ ايار ، اذا حسبت وانت تتصفح هذا العدد انها سقطت في تلك الخطيئة.

لم تنسه لحظة ، وانها لم ترده مناسبة سنوية من صوت ومنبر وحماس، ولكنها ارادته تجربة متواصلة عاقلة وعميقة ، ولذلك صدرت.

ان « فلسطين » تعتبر من مهمتها ان لا يكون ١٥ ايار مناسبة ، ولذلك صدرت كي تجعل من كل عدد تكتبه يوما لفلسطين .

« فلسطين »

منظمة التحرير في

في عددها الماضي طرحت «فلسطين» بحثا اوليا عن تجربة منظمة التحرير الفلسطينية في عام ، في محاولة اولية لتقيمه قبل انعقادالمؤتمر الوطني الثاني في القاهرة يوم ٣١ ايار الحالي .

في هذا العدد تنشر فلسطين ثلاثة ردود الاول من الاستاذ نقولا الدر عضو اللجنةالتنفيذية والثاني الاستاذ شفيق الحوت مدير مكتب بيروت والثالث من مصدر شبه رسمي في المنظمة حول احد جهودها الاساسية في حقل الابحاث والدراسات .

واذا كانت هذهالردود الثلاثة تقف الى جانب المنظمة ، وهي في نهاية المطاف محاولة تقييم من الداخل فان فلسطين في عددها القادم ستنشر اراء غير الرسميين ، من مؤسسات ووقوى وعناصر ثورية ما تزالـالمقاييس الرسمية التقليدية - خارج الاطار العامل والمباشر لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ثلاثة ردود من داخل المنظمة

في محاولة لتقييم التجربة موضوعيا

نقولا الدر
شفيق الحوت
مركز الابحاث

● رأي الاستاذ شفيق الحوت مدير مكتب منظمة التحرير في بيروت

انجازات المنظمة تتناسب مع القطر الذي تعمل فيه

كانت التجربة - في رأيي - أروع واحسن مما تنبأ لها الكثيرون ، وان كانت ، في الوقت نفسه ، دون ما تمنى الثوريون ، ولا سيما ذلك النفر منهم الذي لم يشارك في عمل المنظمة .

ان الكفاح في الميدان يختلف كثيرا عن التخطيط الذي يرسم على الورق.

وقبل الاسترسال في التقييم لما قامت به المنظمة ولما كشفت عنه تجربة العام الماضي لا بد لي ، ولكل فلسطيني منصف ، من ان يعترف بأن المنظمة بحكم منطق ولادتها ، لم تكن حرة تمام الحرية في تصرفها ، ان كل حاكم عربي يقيم على ارضه فلسطينيون كان شريكا للمنظمة في تمديد خط سيرها. ولا شك ان هذه الشراكة تركت اثارها على سرعة العمل المطلوب وعلى ثورتيه .

وفي يقيني انه لو كانت المنظمة مطلقة اليد ، وهذا ما يجب ان نكافح من اجله ، لكان نتاجها في العام المنصرم اضعاف اضعاف ما رأينا وما سمعنا

ويكفي المنظمة انها استطاعت رغم كل القيود المفروضة على تحركاتها ان تقول الكلمة الصريحة : ان تعترف امام جماهير شعبنا وامتنا بحقيقة ما تعانيه من عدد من الدول العربية .

ولعل موقف المنظمة من تصريحات بورقيبة الدليل الكبير على امكانية تطور المنظمة الى اداة ثورية تستطيع بدعم من جماهير شعبنا ان تحدد الكثير من المعميات التي كانت تحيط بمواقف الدول العربية .

اما فيما يتعلق بانجازات المنظمة الداخلية ، فالجواب عليها لا يحتاج لشرح .

ان انجازات المنظمة تناسب تناسبا طرديا مع القطر الذي تقيم على ارضه . كلما كان القطر اكثر تحررية وجدية في قوميته كلما كانت انجازات المنظمة ملموسة ومتعددة .

● اما بالنسبة للمستقبل فاني اتصور مرحلة تختلف كلية عن المرحلة الاولى .

المرحلة الاولى كانت مرحلة الشرعية، مرحلة الوجود الفلسطيني باي شكل وبأي طريقة ، وهذا الوضع ادى الى الكثير من الاخطاء في بعض الانتقاءات التي قامت بها المنظمة وهي تبحث عن عناصر للعمل داخل اطارها .

اما المرحلة القادمة فهي مرحلة الثورية . وتتطلب هذه المرحلة اول ما تتطلب الى امرين اثنين :

الاول : تحديد خطة العمل التحريري. يعني ان على قيادة المنظمة ان تجيب على هذا السؤال بصراحة :

- كيف نتصور معركة التحرير ؟

ولا اعني جوابا عسكريا بل جوابا ثوريا . وان كان يجوز لي ان اجيب عى هذا السؤال اقول :

أن على المنظمة ان تقول :

١ - هدفنا : تحرير فلسطين .

٢ - اسلوبنا : الكفاح المسلح .

٣ - اداتنا الشعب الفلسطينيطليعة للامة العربية .

٤ - شروط المعركة : تامين الجوار العربي المحيط بالارض المحتلة بشكل يضمن انطلاق معركة التحريرواستمرارها ونموها وانتصارها .

اما الامر الثاني الذي تتطلبه المرحلة الثانية هو البحث عن العناصر الثورية القادرة على ان تكون في مستوى هذه المرحلة . واني امل ان يكون بعض الثوريين الذين ترددوا عن المساهمةفي قيادة المرحلة الاولى قد ادركوا خطاهم، ليبادروا الى المساهمة في المرحلة الثانية .

بتحقيق هذين الامرين تكون المنظمة قد استكملت عدة الثورة : فكرا وتنظيما .

وبعدئذ على شعبنا وعلى امة العرب ان يقولوا كلمتهم الفاصلة .

شفيق الحوت

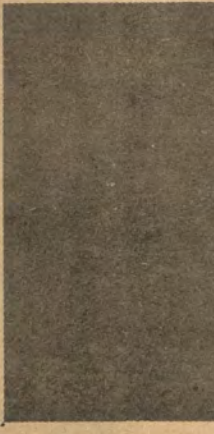

● رأي الاستاذ نقولا الدر عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

وجود منظمة التحرير لا يرتبط بمؤتمر القمة

لو قيل لاحد من ابناء فلسطين ، في اذار الماضي ، ان التجنيد الاجباري سيكون مطبقا في قطاع غزه مثلا ، وان ابناءنا سيكونون في الكليات الحربية، وان وحدات من جيشالتحرير الفلسطيني ستكون قد برزت للوجود ، وان مراكز ستكون قد برزت للوجود ، وان مراكز التدريب العسكري في سيناء وغزه وسورية والعراق والكويت ستكون في عمل دائم ، وانه سيكون للمنظمة اذاعة خاصة بها ، ترفع صوت الشعب الفلسطيني ، وقد كان هذا الصوت مخنوقا او مقطع الانفاس ، وان وفدا من منظمة التحرير سيكون في مفاوضة مع شوان لاي ، رئيس حكومة الصين الشعبية ، بدعوة من بكين - لو قيل هذا لاحد من ابناء فلسطين في اذار الماضي ، لصعب عليه تصديق هذا القول . كل هذا تم في ستة اشهر فقط ، لان اللجنة التنفيذية لم تباشر مسؤولياتها رسميا ، الا في الرابع من تشرين الاول الماضي .

ذلك ان كل فلسطيني ، كان يطالب بانشاء جيش التحرير الفلسطيني ، ولكنه كان في الوقت نفسه ، ضعيف الامل ، في امكان تحقيق هذا المطلب .

ولكن الذين رضوا بحضور مؤتمر القدس ، ثم بدخول اللجنة التنفيذية انما فعلوا ذلك من اجل الكفاح ، في سبيل تحقيق هذا المطلب المقدس . وقد ذهبوا بعدئذ الى مؤتمر القمة الثاني ، في الاسكندرية ، لخوض معركة هذا الكفاح ، لم يذهبوا لكي يعلن المؤتمر، قيام منظمة التحرير الفلسطينية .

فمنظمة التحرير كانت قد قامت مذ اعلن ممثلو الشعب الفلسطيني قيامها، في مؤتمر القدس ، قبل ذلك باكثر من ثلاثة اشهر . وانما ذهبوا للحصول على بندين رئيسيين ، هما :

اولا : اعتراف الدول العربية بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلة للشعب الفلسطيني .

ثانيا : اعتراف هذه الدول ، بحق الشعب الفلسطيني، في العمل العسكري لتحرير وطنه ، اي بحقه في انشاء جيش التحرير الفلسطيني.لمقنلمثوو جيش التحرير الفلسطيني .

واعترفت الدول العربية بذلك ، بالاجماع ، في العاشر من ايلول عام ١٩٦٤ . وبدأ العمل الجدي الذي حرمه الفلسطيني طوال ستة عشرعاما.

وهكذا برزت منظمة التحرير الفلسطينية ، وهي تقوم الان على اجهزة ثلاثة : المؤتمر الوطني ، واللجنة

صورة نادرة تنشر لاول مرة ، اخذت في اليوم الذي سقطت فيه يافا : الاطفال يحملون ما يمكن حمله في طريقهم الى البحر ، حيث تولت الزوارق المزدحمة ، (التي لم تق... منها) نقلهم الى غزة .

٢٩ نيسان ١٩٤٨

سقوط يافا

في ٢٩ نيسان ١٩٤٨ سقطت ، بعد قصف جهنمي من مدافع المورتر ، عروس الساحل الفلسطيني - يافا . هذا الوصف الموجز لسقوط يافا حري بالتذكر بعد مرور ١٧ سنة على ذلك اليوم العاصف .

(فلسطين)

مضى على اعلان قرار التقسيم نحو شهرين ، وحدود مدينة يافا ومعابرها الرئيسة خالية من التحصينات التي تقتضيها ابسط وسائل الدفاع . واقتحم اليهود في ، مناسبتين متعاقبتين ، قلب يافا في غير صعوبة ، ونسفوا في المرة الاولى مقهى بجوار سينما الحمراء ، وفي المرة الثانية استطاعوا التوغل في صميم المدينة ، ونسفوا قسما من عمارة السراي القديمة تشغله مؤسسة الخدمات الاجتماعية . وكان عدد الضحايا في هذا الحادث الغادر كبيرا .

●

وبعد ان لطم العدو المدينة واهلها ، وصفع حماتها قبل سواهم صفعتين جارحتين استفاق المسؤولون عن شؤون الدفاع ، واخذوا فيما بعد ، يقيمون تحصينات كلها عبارة عن جدران من الاسمنت يرابط خلفها المناضلون على الحدود !

وبينما كانتالمدينة في مركز عسكري ضعيف ، يعرضها الى انقضاض العدو عليها متى شاء ، لم يخطر على البال - بال اولئك المسؤولين على شؤون الدفاع الوطني ، ان يمعنوا النظر ولو قليلا الى المستقبل ! فلا تحصينات منيعة يعسر اقتحامها ، ولا اسلحة ثقيلة ، حتى ولا اسلحة خفيفة ! وادهى من هذا وادعى الى الغرابة ، ان يافا التي يحيط بها العدو من جهات ثلاث ، لم يكن فيها سيارات مصفحة ... اللهم سوى اثنتين لا ثالث لهما ، وكانت من الصنف الضعيف البالي ، وكانت معسكرات التدريب اليهودية تزخر بالمتطوعين الذين شملتهم التعبئة العامة . وجعلت القيادة اليهودية جميع المناطق اليهودية تحت تصرفها . واعلنت الاحكام العرفية ، وخلقت جميع الاسباب، التي تجعل الطائفة اليهودية في حالة حرب . وكانت تل ابيب والمستعمرات الكبيرة ترسانات اسلحة!

●

ومع ان الاطمئنان الى قوة سلاح المدينة ومناعة تحصيناتها ، كان مفقودا تقريبا ، فقد كانت الحماسة ملتهبة والحياة عادية . واستمرت الحركة التجارية والعمرانية على سابق عهدها ...

وهذه الشجاعة والاستماتة والتضحية التي ابداها اهل يافا ، تنطبق تماما على اهل القرى التي تجاورها ، فهذه سلمة ويازور والعباسية التي تطوقها المستعمرات اليهودية من كل جانب ، صمدت وقاتلت اليهود قتالا الحق بالعدو خسائر فادحة في الارواح والعتاد . ان البسالة التي اظهرتها قرية سلمة القرية العربية البسيطة، التي تقل مساحتها عن مساحة شارع في تل ابيب ، يوم توغل حماتها في قلب هاتكفا وتعقبوا العصابات الصهيونية واستقروا فيها ما تزال ماثلة في الاذهان .

●

استعد الاهالي لمواجهة اصعب الحالات واقساها ، وزودوا انفسهم بما يحتاجون اليه من اطعمة ووقود تكفيهم نحو ستة اشهر . فعلوا هذا في مطلع شهر اذار من عام ١٩٤٨ ، معتمدين في هذه الخطوة الجريئة على انفسهم اولا ، وعلى الجيوش العربية التي ستهب الى تحريرهم بعد نحو شهرين من ذلك التاريخ حتى ان احدا لم يفكر في الرحيل عن البلد حتى بعد ان سلم البريطانيون مدينة حيفا لليهود .

●

وبعد يومين اثنين من تسليم البريطانيين مدينة حيفا للعدو - وفي يوم ٢٤ نيسان ١٩٤٨ ، بدا العدو هجومه العاصف على مدينة يافا .

وحشر اكثر من ثلاث آلاف مقاتل في جبهة المنشية ، زحفوا تؤيدهم راجمات الالغام ومدافع المورتر لاحتلال المدينة . ولكنهم ، رغم وفرة أسلحتهم الحديثة وعددهم الكبير لم يجتازوا قواعدهم الاساسية في اطراف تل ابيب ، وابيد كثيرون منهم .

ولما ادركت القيادة اليهودية العليا ، استماتة المناضلين العرب ، في صد اشرس القوات اليهودية ، وكانت هذه من عصابتي الارغون وشترن ، وايقنت فداحة خسارتها في الرجال والعتاد ، اقتصرت عملياتها الهجومية على استعمال الراجمات وقنابل المورتر .

وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان ١٩٤٨ ، صب العدو حمم راجماته وقنابل المورتر في كل اتجاه ، وعلى غير هدف . فلزم الناس مساكنهم واستحال السير ، واصبحت شوارع المدينة خالية الا من بضع مناضلين يجوسون المناطق الامامية . فلا حركة ولا عمل . وانطبعت على خد يافا صورة قاتمة مريرة ، وامست واصبحت على هدير قنابل المورتر سبعة ايام متواليات !

ان مهاجمة يافا بمدافع المورتر والراجمات خطة مدبرة بين اليهود والبريطانيين . فجميع قنابل المورتر التي قذفت على المدينة كانت تحمل اشارة شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية اي·بي·اي. ومع ان اتصالات كثيرة قد جرت يومئذ مع حاكم اللواء البريطاني حول اعتداء اليهود والهجوم العاصف بسلاح « اعمى » لا هدف له ، فان هذا لم يتخذ شيئا زاجرا لوقف الهجوم . واستمر العدو في دك المدينة متخذا من الاحياء التي تزخر بالمدنين هدفا له .

ولما اشتدت وطاة ضغط اليهود ، انحصر هم الناس ، وتفكيرهم ، في النزوح عن المدينة . وساعد هذا الاتجاه ، الاعتقاد الجازم بان حامية يافا لا تملك شيئا من قنابل المورتر للرد على العدو بنفسالسلاح الذي يستعمله.

لقد كان الموقف خطيرا حقا ، بعد ان عطل حرس « نيتر » الطريق الرئيسي بين يافا والقدس وسائر المناطق ، فعزلها عن سائر القطاعات والمدن والقرى . وراجت شائعات وتعددت ، مفادها ان قوات من جيش الانقاذ في طريقها الى رد العادية عن المدينة ، وفعلا وصلت الى يافا قوة محدودة العدد ، بعد ان دكت وكر « نيتر » ، وارغمت حماة اليهود على اللجوء الى قلب الوكر . ان هذا الذي فعلته قوة صغيرة من جيش الانقاذ ، عندما سلطت مدفعا واحدا على « نيتر » يعزز الاعتقاد الذي يردده كل فرد ، من انه لو كان لدى حماة يافا كمية محدودة من مدافع المورتر للرد على تل ابيب بنفس السلاح الذي سلطته على يافا ، لكفت المدينة اليهودية عن استعماله، محافظة على مبانيها وارواح سكانها ..

واشتد هجوم العدو ثانية ، بعد ان توقف لساعات ، اثر وصول نجدة جيش الانقاذ الى يافا ، وادراكه ان هذه ، لم تكن مزودة بالمدافع . وعاد وكر « نيتر » الى اغلاق طريق يافا - القدس ، من جديد . وتازم الموقف كثيرا .

وفي اليوم السادس والعشرين والايام الثلاثة التي تلته ، كانت يافا شاحبة : الحوانيت مقفلة، واغلب المساكن هجرها اصحابها ، واتجهوا نحو البحر ، للنزوح عن المدينة ، فرارا من هجوم اليهود .

وظلت الصحف العربية توالي صدورها ، تحت هدير طائرات العدو ، ودوي مدافع المورتر .

وكانت الصحف تصدر كعادتها ، ولكن قلائل يستطيعون مطالعتها اذ استحال عليهم التجول في الشوارع ، لغزارة قنابل المورتر التي كانت تتساقط على المدينة ، حتى انها بلغت في بعض الاحيان (١٢٠) قنبلة في الساعة بمعدل قنبلتين في كل دقيقة!. لكن صحيفة (الدفاع)الوطنية، واصلت صدورها حتى يوم ٢٨ نيسان ١٩٤٨ ، وتوقفت عن الصدور ابتداء من يوم ٢٩ نيسان ١٩٤٨ .

●

ولنتساءل الان في صراحة ، ولعل ما اصابنا من خسران وهوان ، يبيح لنا هذا التساؤل. ترى اكانالمسؤولون عن الدفاع الوطني عاجزين عن تزويد حامية يافا ومثيلاتها من المدن ، ببضع مئات من قنابل المورتر ؟

نعتقد جازمين انه لو كان لدى يافا كمية يسيرة من تلك القنابل لما وقعت نكبتها ، ولما خسر العرب املاكهم ومتاجرهم ومئات من الجنيهات، انذاك . ان ما ينطبق على يافا في هذا الموضوع ينطبق تماما على حيفا وصفد وطبريا وغيرها كثير ...

قريبا
الحرية
مجلة الاشتراكية في لبنان والوطن العربي

أدب

لم يكن الادب العربي الذي عالج النكبة خلال سنواتها الذليلة الاولى بأقل هزالة من معالجة السياسة العربية لها آنذاك • فلا القصائد الخطابية والا الاقاصيص العاطفية المسرفة في اصطناعها للبطولة والمأساة •• لا هذه ولا تلك استطاعت ان تعكس الابعاد الواقعية والنفسية للنكبة • ولقد كانت وسائلها الفنية في مستوى « موضوعها » المفتقر الى الواقعية والنضج والاتزان •

كانت تلك القصائد والاقاصيص تصور الزحوف المنتصرة المكتسحة التي لا تعبأ برعد وبروق وتخلق الشخصيات الفلسطينية المثالية التي تضحي بكل شيء في سبيل الحصول على « رشاش » تعبر به الحدود لتفعل الافاعيل باعدائها اليهود !

غير ان الواقع الموضوعي كان على نقيض تلك «الخيالات» المسرفة في رومنطيقيتها الى درجة المراهقة • فلم تكن ثمة زحوف منتصرة ، ولا اشخاص يعبرون الحدود ، •• ولا امة عربية متحدة متظافرة تضع ابناء فلسطين منها في القلب لتزحف من خلفهم الى الفردوس المفقود ، على النقيض : كان اليهود يعتدون على طول الحدود العربية وعرضها دون رادع ••• وكانت الامة العربية ، ممثلة في حكوماتها القائمة ورجال امنها وجماركها وتجارها تعامل الفلسطينيين كما تعامل الخاطئة وليدها السيء الحظ : تقذفه في اقرب مزبلة رغم حبها العميق له •• فهو رمز عارها وذلها ومأساتها •• كانت « الفلسطينية » حكم اخلاقي ومصيري على من يحملها قبل كل شيء !

وادب على هذا المقدار من التناقض مع الواقع لا يمكن ان يكون حظه افضل من حظ الحرب الفلسطينية التي وصفها أحد قادتها بانها « مجرد نزهة عسكرية في فلسطين » !

فلسطين البروليتارية في
رجال في الشمس

عرض نقدي
بقلم محمد جابر الانصاري

« في سنة ١٩٦٣ أصدر غسان كنفاني قصته « رجال في الشمس » • وفي سنة ١٩٦٤ ولدت منظمة التحرير الفلسطينية بعد هزات عنيفة على مستوى الوطن كله •

في سنة ١٩٦٣ كان غسان ينادي – على لسان بطل قصته ابي الخيزران عند الخاتمة – « والصحراء كلها ترد الصدى » : « لماذا لم تدقوا جدران الخزان ؟ لماذا لم تقرعوا جدران الخزان ؟ لماذا ، لماذا ، لماذا ؟»

وفي سنة ١٩٦٤ كان الفلسطينيون – ومن ورائهم قوة عربية هائلة لم تعتقد ان الامر« مجرد نزهة » – يدقون أبواب خزانهم الضخم وفي « طريق » غير الطريق الذي سلكه أبطال قصة غسان فأودى بهم – عبر الشمس والظل – الى القبر • لقد كان توقيت قصته « رجال في الشمس » دقيقا ومدهشا حقا •• !

الا انه من الناحية الموضوعية « ارهاص » قوي باكتشاف العرب الفلسطينيين لجوهر مشكلتهم التي كان يجب ان تسلك طريقا غير الطريق الخاطيء المضل الذي تاهت فيه خلال السنوات الخمس عشرة الماضية• وتلك « أهمية تاريخية » يكسبها التوقيت للقصة ، تضاف الى ما لها من مكانة على الصعيدين الفني والموضوعي •

ولقد حظيت القصة وقت ظهورها بترحيب حار من قبل الذين ابتهجوا بها كقفزة واسعة في مجال أدب النكبة كما حظيت باهتمام نقدي جاد من قبل الذين حاكموها محاكمة فنية موضوعية• الا انني في كل ما قرأته عنها وجدت ان ناقديها والمرحبين بها لم يركزوا – أو لم يشيروا – الى نقطتين هامتين اعتقد انهما من اهم الخصائص المميزة لها ، وانهما أساس تفردها ومكانتها الممتازة • وكان بودي تناول هذا الامر في حينه الا ان الظروف لم تكن سانحة •• حتى اذا نزل كتاب غسان الجديد« عالم ليس لنا » في الاسواق•• قلت : لا بد من التذكير بـ « العالم العتيق » الذي تصوره لنا قصة « رجال في الشمس » •• ولا بد من نقدها مجددا •• ليكون ذلك مدخلا لدراسة مقبلة عن المجموعة الجديدة •• باعتبار ان نتاج الاديب الجديد يلقي ضوءا على نتاجه القديم •• والعكس بالعكس • فالتأثير والتفاعل متبادل •• ولا بد من ربط ومقارنة •

●

في هذه المقالة لن أتحدث عن الناحية الفنية في القصة : فهي ناحية لاقت اهتماما عند من كتب عنها من قبل • لن أشير الى السرد الحي المتحرك القائم على الربط الديناميي بين الماضي والحاضر ، ولن أشير الى الحوار الواقعي المبطن بنوع من سخرية غسان اللاذعة ، الصادقة ، ولن أشير الى الرموز الكثيرة الغنية بدلالاتها •• فكل ذلك – كما قلت – حظي باهتمام وتوضيح •

ان ما ساوليه عناية خاصة هو مدلول « الطريق » والنهاية التي أوصل أبطال القصة اليها ، وما بدا لي على انه « مسحة بروليتارية » واضحة ارتبطت بالواقع الاصيل لاولئك الابطال •• ثم الارتباط الحتمي الوثيق بين واقع الجماهير الفلسطينية البروليتارية و « طريق » نضالها الطبيعي •

منذ بداية القصة كان هم الابطال جميعا الاتجاه في طريق معين • كانوا كلهم – الشيخ ابو قيس ، والشاب أسعد ، والفتى مروان – على استعداد لدفع كل ما يملكون وتحمل كل المشاق في سبيل ان يجدوا انفسهم في الطريق الذي كانوا يتصورونه طريقا للخلاص •• رغم انهم كانوا سيعبرونه خفية كهاربين وخارجين على القانون •• او كـ « بضاعة مهربة » خطيرة .••

وكان الهدف الواحد الذي يبتغونه – رغم اختلاف السن والمطامح الصغيرة– الانسلاخ عن الحالة المادية الاليمة التي خلقتها النكبة ومحاولة الحصول على مبلغ من المال لاصلاح الحالات الفردية من بناء بيت الى مساعدة أسرة الى اكمال دراسة •

كان الاندفاع في ذلك الطريق •• نحو ذلك الهدف•• هو المحرك الاساسي لاحداث القصة •• ولم يكن ثمة طريق آخر وهدف اخر يبدو في الافق الذي كان يشخص نحوه أولئك الرجال في وضعهم البائس بمدينة البصرة حيث لا « تمطر السماء •• الا قيظا وغبارا » وحيث« كان ثمة طائر أسود يحلق عاليا في ذلك الوهج المترامي » الذي كانت ترسله شمس آب •

ولقد كان يتملكهم الشعور بان طرق الدنيا قد سدت أمامهم وانهم اذا لم يسلكوا هذا الطريق الاخير فانهم لن يتخلصوا اطلاقا من حالتهم البائسة :

قال السمسار لاحدهم – أسعد – وهو يجادله حول صفقة التهريب : « اذا لم تعجبك شروطنا فبوسعك ان تستدير ، وتخطو ثلاث خطوات ، وستجد نفسك في الطريق • »

فيحدث اسعد نفسه « الطريق !•• أتوجد بعد طرق في هذه الدنيا ؟ الم يمسحها بجبينه ويغسلها بعرقه طوال أيام وأيام ؟ كلهم يقولون ذلك : ستجد نفسك على الطريق ! »

وتمر بذاكرة اسعد – الشاب المجالد – سلسلة « تجاربه » المؤلمة مع الطرق السابقة التي سلك وكلها طرق تشابه هذا الطريق الجديد الذي يحاول ان يسلك •••

ولكن ألم تكفه التجارب السابقة ؟ ما حيلته •• فهو لا يرى الا هذه « الشبكة من الطرق » التي تتشابه في قسوتها وعدم جدواها •• ولم يكن بامكانه « اكتشاف » طريق من نوع جديد مغاير ••« كلهم يتحدثون عن الطريق ••• يقولون : تجد نفسك على الطريق ! وهم لا يعرفون من الطريق الا لونها الاسود وأرصفتها »•

●

ويتم الاتفاق •• وتعقد الصفقة : سيختبيء الثلاثة في خزان السيارة الضخمة التي يقودها مواطنهم ابو الخيزران عند مرورهم بنقاط الحدود بين العراق والكويت ••• وبعدها سيجدون أنفسهم في محط أحلامهم•• الاحلام التي تكونت في الخيام وفي الطرق السوداء •• وفي أزقة البصرة••

كان الجو قائظا ••والصحراء ملتهبة •• وخزان السيارة تلك « الدبابة الجهنمية » – كبئر ملعونة من جهنم •• وتجتاز السيارة نقطتي الحدود بسلام رغم التأخير ذي الطابع الفاجع – الساخر عند نقطة الحدود الكويتية ، الا ان الذي أصبح داخل حدود الكويت لم يكن أبو قيس واسعد ومروان •• بل جثثهم الثلاث التي شويت في الخزان الرهيب !

الموت -- كان خاتمة ذلك الطريق– أو السلسلة من الطرق المتشابهة – لثلاث شخصيات فلسطينية تمثل ثلاثة أجيال ••• الموت اختناقا وشويا في خزان مقفل ••• دون استنشاق نسمة رطبة أخيرة ••• دون نظرة الى سماء او ارض •• دون الحصول على مراسم دفن عادية تليق بكرامة انسان متواضع !•

ولم يكن من المنتظر ان يسال عن مصيرهم احد •• ومن يأبه بمصير « بضاعة مهربة » يصيبها « التلف » بل من سيعلم بتهريبها وتلفها ؟ •• خاصة ان « المادة » المهربة لم تكن من المواد التي يؤبه لها كثيرا في هذه الارض العريقة •• صانعة القيم والاخلاق ؟ !

سال ابو الخيزران نفسه « لماذا لم يدقوا جدران الخزان ؟ » ،

وبالامكان ان نسال سؤالا أبعد من ذلك : لماذا سلكوا ذلك الطريق ؟

ماذا ينتظر الاجيال الفلسطينية اذا ابتعدت عن الظروف المادية والاجواء المعنوية لقضيتها وسلكت طريقا يبعدها عن مواجهة جوهر مشكلتها ليلقي بها بعيدا عنها ؟ هل البحث عن عمل ما في مكان ما هو جوهر مشكلة الانسان الفلسطيني و « طريقه » السليم ؟

لقد كان موتهم المفجع في الخزان رمزا للخنق والاضمحلال المعنويين اللذين يمكن ان تمنى بهما القضية الفلسطينية فيما اذا لو استمرت الاجيال الفلسطينية – شيوخا وشبابا وفتيانا – تسير في ذلك « الطريق » الخطير المهلك الذي سلكه – وسط الخزان المغلق – ابو قيس واسعد ومروان •

لا بد – اذن – من تغيير الطريق والوجهة والهدف •• والا فتلك النهاية المفجعة المهينة هي مصير كل سائر على ذلك الطريق •

●

عندما ضاعت فلسطين سنة ١٩٤٨ لم يبق عربي الا وأحس بعار النكبة وبكآبة الهزيمة المادية – المعنوية • وكان الفلسطينيون بالطبع اكثر العرب احساسا بالنكبة وبالهزيمة • الا ان مرور الزمن وتطور الاحداث والنتائج المترتبة أبرزت بوضوح ان الجهة التى تاثرت بالنكبة كمأساة يومية مستمرة هي البروليتاريا الفلسطينية •

فاصحاب الاراضي والبرجوازيون واغلب المثقفين استطاعوا بشكل او باخر العيش في البلاد العربية والخارج والاندماج في طبقات المجتمعات التي نزحوا اليها والتخلص ، بالتالي ، من نتائج النكبة المادية على الاقل •• هذا اذا افترضنا ان أصحاب الاراضي والبرجوازيون يمكن ان يشعروا – من الناحية المعنوية – بشيء اسمه « العار القوميّ أو الوطني » ••

وهكذا « وقع الجمل بما حمل » على رأس البروليتاريا الفلسطينية التي فوجئت بالنكبة والتي لم تأخذ معها من فلسطين غير الذكريات والعار والحسرة على منزل صغير تهدم او دكان متواضع ضاع أو عشر شجرات زيتون صودرت •

فالنكبة اذن – بالاضافة الى ابعادها التاريخية على الصعيد الوطني العربي كله – هي نكبة هذه البروليتاريا بالدرجة الاولى وبالدرجة الاكثر بشاعة وقسوة وقبحا •• فهذه البروليتاريا ظلت تعيش في الخيام على« الاغاثات » و « الاعانات » وأخذ ابناؤها يتوزعون عبر تلك الطرق القاسية المميتة بحثا عن أعمال تخلصهم من رحمة تلك الاغاثات والاعانات •

والشخصيات التي نلتقي بها في « رجال في الشمس » هي نماذج مختارة تمثل مختلف أجيال البروليتاريا الفلسطينية •• وتمثلها – لا في الخيام – وانما عبر الطريق الذي بدا لها على انه طريق الخلاص•• وهي تعيش جحيمها الرهيب •

فابو قيس– وهو يمثل الجيل الذي قضى شبابه وكهولته في فلسطين – لم يكن يملك سوى عشر شجرات زيتون •• « عشر أشجار ذات جذوع معقدة كانت تساقط زيتونا وخيرا كل ربيع •• »

ولقد بدت النكبة لابي قيس أول الامر كحلم مزعج •• فلم يكن من السهل ان يصدق ان أرضه قد ضاعت منه بمثل تلك السرعة والسهولة •• وهو الذي ارتبط بالارض ارتباطه بالحياة ونظر اليها ككائن حي ينبض قلبه ويتحرك •• فـ « في كل مرة يرمي بصدره فوق التراب يحس ذلك الوجيب كأنما قلب الارض ما زال ، منذ ان استلقى هناك أول مرة ، يشق طريقا قاسيا الى النور قادما من اعمق أعماق الجحيم ، حين قال ذلك مرة لجاره الذي كان يشاطره الحقل ، هناك ، في الارض التي تركها منذ عشر سنوات ، أجابه ساخرا :

« هذا صوت قلبك انت تسمعه حين تلصق صدرك بالارض » ، « أي هراء خبيث ! والرائحة اذن ؟ تلك التي اذا تنشقها ماجت في جبينه ثم انهالت مهومة في عروقه ؟• كلما تنفس رائحة الارض وهو مستلق فوقها خيل اليه انه يتنسم شعر زوجه حين تخرج من الحمام وقد اغتسلت بالماء البارد وفرشت شعرها فوق وجهه وهو لم يزل رطيبا •• الخفقان ذاته : كانك تحمل بين كفيك الحانيتين عصفورا صغيرا••»

لهذه الدرجة ارتبط ابو قيس بالارض •• فرائحتها كرائحة شعر زوجه عندما تستحم •• ارتباط حاسة شم الذكر برائحة الانثى • رابطة من أقوى الروابط على وجه هذه الارض !

ورابطة كهذه لا يمكن قطعها بسهولة: « الاشجار موجودة في رأسك يا أبا قيس •• في رأسك العجوز التعب يا أبا قيس ••• في السنوات العشر الماضية لم تفعل شيئا سوى ان تنتظر••

أما أسعد – وهو الذي يمثل جيل الشباب الذي قضى صباه في فلسطين– فقد تحرك في الطريق ذاته ليتخلص من الحاح عمه الذي كان يلح عليه بشكل يجرح كبرياءه لكي يعمل ويتزوج ابنته التي « وهبت » له عندما كانا طفلين !

ولقد لاقى أسعد في طريقه الى العراق مصاعب لا تصدق •• لكنه استمر يحاول تكرار القصة الشاقة المملة ذاتها : السير في تلك الطرق السوداء المهلكة •

وأما مروان – الذي ولد مع النكبة والذي دفعته الاقدار لان « يغوص في المقلاة مع من غاص » مبكرا – فقد ترك مدرسته وقرر البحث عن عمل لان أخاه الاكبر تخلى عن الاسرة فجأة، فكان عليه ان يعيلها •• اذ لم يبق أحد للاطفال الاربعة ، والام التي تركها زوجها – أبوه – ليتزوج امرأة سواها مقطوعة الساق تمتلك بيتا !

●

تمثلت لنا البروليتاريا الفلسطينية اذن بكل ما أحاط بها من قسوة • • تمثلت في حالتها المادية – المعيشية المزرية •• في حالاتها النفسية التي نتجت عن النكبة •• في تصدعها العائلي أزاء قسوة الظروف •• في المعاملة الوحشية التي كانت تقابل بها من قبل الحكومات « المضيفة » ، الحكومات العربية : حاميتها وممثلتها أمام العرب والعالم والتاريخ !•

ولم تقدم لنا قصة« رجال في الشمس» أية شخصية فلسطينية خارج نطاق البروليتاريا •• فنحن لا نلتقي فيها بذلك النوع من الفلسطينيين الذين يعملون في بيروت او دمشق أو الكويت او الرياض كتجار أو موظفين أو أصحاب أملاك •• والذين يعيشون مع مجتمعاتهم المحلية كما يعيش البقية •• والذين قد يتذكرون فلسطين عندما يفتحون نوافذ شققهم « على مرأى القمر والنجوم أو الشفق الجميل » •• فيذكرهم « جمال الشهد » جمال فلسطين « الحبيبة الغالية » !

اننا لا نلتقي في « رجال في الشمس » الا بالبروليتاريا الفلسطينية التي توحدت في شخصيتها « الفلسطينية » و « النكبة » فاصبحت عنصرا مأسويا واحدا هو « الفلسطينية المنكوبة » أو « النكبة الفلسطينية » الحقيقية بكل عريها وعارها •••

ولقد تمثلت لنا هذه البروليتاريا – من جهة – في أطرها الاجتماعية – التراثية كجزء من البروليتاريا العربية بكلما لديها من أوهام وعقائد وتقاليد: أهل القرية يزأرون في وجه الاستاذ سليم لانه يعلن انه لا يعرف كيف يؤم الناس في الصلاة ولا حتى كيف يصلي رغم انه يجيد اطلاق الرصاص، أسعد يعيش في ظل الرباط الوهمي مع ابنة عمه التي قرنت فاتحتها له يوم ولدا في يوم واحد ، والد مروان يتزوج امرأة ثانية شوهاء رغم ان لديه أربعة اطفال من الاولى •• الخ

كما انها تمثلت لنا – من ناحية ثانية – وهي تحاول الخلاص من وضعها بالاتجاه نحو الحصول على اعمال فردية تحل المشكلات الفردية •• أي انها أرادت ان تقتفي اثر الملاك والبرجوازيين الذين حاولوا ان يذوبوا في المجتمعات التي نزحوا اليها بأسرع ما يكون •

ولقد حاولت القصة ان تشير – عن طريق الرمز القوي الدال – الى ان البروليتاريا الفلسطينية ، الجبهة الامامية في معركة العودة ، ستودي بنفسها الى الهلاك اذا استمرت في طريق غير طريق العودة السليم الى فلسطين •• وان عليها ان أرادت البقاء الكريم ان تبحث عن طريق غير الطريق الذي سلكه الرجال الثلاثة • والواقع ان البروليتاريا الفلسطينية هي القوة الاساسية – أو هكذا يجب ان تكون – في أي تنظيم فلسطيني جدي •• فهي العنصر الذي ليس لديه شيء يفقده وأمامه يفتح الامل الكبير (على عكس البرجوازيين والملاك الذين أخذوا يراعون أوضاعهم الحالية) •

ومما يبعث على التفاؤل ان ما دعت لايه « رجال في الشمس » رمزا قد تحول الى عمل سياسي لا تنكر أهميته !

محمد جابر الانصاري

رسائل وتحية

شعر حاتم صكر

عنوان القصيدة •• هو عنوان برنامج في اذاعة الصهاينة يتحدث فيه عرب الارض المحتلة الى اقاربهم المنتشرين في انحاء العالم •• وحديثهم عادة كليشة واحدة يبلغونهم فيها السلام والتحيات •• ومن هذه الرسائل استوحيت قصيدتي المكونة من خمس رسائل •
حاتم

(انا احمد غنيم ابعث بتحياتي الى اهلي في ملجأ في لبنان •• انا حي ارزق •••)

صوتي تحمله الريح لمثوى
مدفنة في راس الملجا
صوتي تحمله الريح شظائر حلوى
تنثره ، يتسمم لا يفتا
ضيعت الريح صدى صوتي
حملت رسما يعلن موتي
– واسلم يا اهلي وانا ارزق
حي أر •••،
انصوت تضيعه الريح بملجا
لن يورق عطفا او حبا
مات بمقبرة الصمت
يهمي ويعود بلا كلمة
يتصلب يوما في الابواب
يهرب منه الاطفال
ويضيع – وحه ىدمعي – الف سؤال
عنكم يا احباب
انا ابحث عن صوتي
انسان من دون خيال

(انا سليم اليافي•• تحياتي لكم•• لا تقطعوا الرسائل ولا تقلقوا بسبب يدي فقد اجريت عملية لقطع الكف اليمنى ••• فلا تقلقوا لتأخر رسائلي •••)

في عام اشام قالوا :
جاءت للارض شياطين
وانا طفل يطربني ما فيه شياطين
واحاديث غواة ، وسلاطين
قالوا :
قتلوا عند الفجر الطفلة
قطعوا الثدي وادموها
وبعنف وئدوها
وغدت في قبر خاوي
الريح تنازعه والترب
ظلت روح الطفلة تهفو ، تستنجد
فمددت لكي اخرجها •••
قطع التنين يدي
كنت على القبر اردد انشودة
حتى قطع التنين يدي •••
ظلت ممدودة
جف لساني ، لن اكمل
عندي بقيا لحكاية
انا ابحث عن حرف ، عن كلمة
اشعاري دون نهاية

(انا امين ابن الشيخ علام اسلم على اهلي ببغداد واسأل ان كانت زوجتي لا تزال على قيد الحياة)

عند المغرب كفنت اساي ببسمه
وانا ابلغ (سعدة) انباء الغازي
كان الموت يطل برسمه
« حيفا لوثها الغازي »
وتهمهم في حنق (سعدة)
تسري في جسدي رعده
اخبرها : اني ذاهب
لن تقلق (سعده)، لن تجزع
لن تستحلف ان ارجع
فانا •• « عبد الطلقة والمدفع .
عبد الطلقة والمدفع••• »
انباء عني (سعدة) تسمع
اسروه ببئر السبع ، الاوغاد !!
الملجا داد ، منفى غربة
وانا ابحث عنها •••
انسان يسال ربه
ان يحيي دارا ، ويعيد لريح عصفه
انا ابحث عن (سعده)
انسان ضيع نصفه

حركت المهد طويلا
وانمت الطفل على صدري
« افديك صغيري عمري »

(اسلم على اهلي ••• انا رقية حاج علي قدسي واخص بناتي وابني احمد • اخبروني هل تزوج ام لا؟)

اسمعت عن الام تهرول بالمهد ؟
تسرع كي لا تخنقه الايدي
اسمعت ، وظنت في المهد الطفلا
وعلى الحد ، بعيدا ، ردت طرفا جفلا
خرقا كانت في المهد واشياء
لكن ليس الطفل بمهده
فرمت بالمهد الى الارض
ومضت تهذي مخبولة
واليوم ؟ ترى ما زالت تحيا
مثلي احيا دون حياه
احيا وبنفسي نفح ممات
احيا في منفى ، سجن ابدي
آه فهل يدنو لي لحدي ؟؟
انا ابحث عن كبدي
ضاع ، فاني احيا دونك يا ولدي .

(أنا فتوح بنت شاهين اسلم على اهلي في غزة • واذا اتوا للحج هذا العام فليسألوا عنا في القدس القديمة خلف الاسلاك)

ما احكي ؟
في عمقي قصه
تغمر احرفها غصه
الاحرف تنقط دما
كلماتي تنسج هما
تتصلب يبسا عبر الحاجز
اسمعتم احبابي عن ذا الحاجز ؟
السلك المفروز بقدسي
هذا المعبد روحي عن نفسي
نصفي عني ••• حاجز
والملح أيا اهلي يصعد يوما •••
والحاجز يصدا
وتمزق كل خيام الملجا
الملح يطهر ارضي ••• والحاجز يصدا
– السلك المفروز بقلبي
المغلق دوني الابواب –
اني اتمزق خلف الاسلاك
شوقا للقيا ••• لعناق الاحباب •

حاتم محمد صكر
العراق – بغداد

الفالوجة : صورة نادرة اخرى تنشر لاول مرة عن سقوط ذلك المعقل البطل ، للذكرى والتاريخ !

هذه القرود من المطاط

معين بسيسو

اعدى الاعداء هم اولئك الذين يحاولون ان يطمسوا بصمات واشنطن الدموية عن حراب المؤامرات الاستعمارية داخل الذين يعملون جاهدين على تجزئة قوى الاستعمار العالمي ومن ورائها قوى الصهيونية مرة وخدامها مرة اخرى ...

فبابانويل ذو الوجه الكريه البشع ، يقدم هداياه من اصابع الديناميت ، وجنازير الدبابات واجنحة الطائرات الى ذلك المسخ الاسرائيلي باسم حوانيت بون وحدها ، بل باسم اصحاب الحوانيت الاستعماريين كلهم ...

وشعبنا العربي يعرف بخبراته وتجاربه الدامية هذه الحقيقة البسيطة والتي افصح عنها بوضوح جمال عبد الناصر ...

وكيف من الممكن ان تهب الرياح الطيبة من اتجاه اولئك الذين يحملون في ايديهم روث واشنطن ولندن وباريس...؟ كيف من الممكن ان تهب من اتجاه حملة الرايات المرقعة لمؤسسة فرانكلين او من اتجاه تلك الصحف والمجلات المترجمة للغة العربية والتي تطفو اقلام محرريها في مستنقعات النفط في بلادنا ...

احد الالمان الغربيين الذين تترجم افكارهم في بلادنا وللغتنا العربية والذين لهم اكثر من مراسل في بلادنا قال لي : لماذا كل هذه الحملات من الكراهية التي توجه ضدنا في العالم العربي ؟ هل تريدون افتعال معركة معنا للاستهلاك المحلي.؟

هذا الالماني الغربي التعس ، نسي ان كلماته هذه التي ينطقها باللغة الانجليزية قد سبق وسمعناها مترجمة للغة العربية وفي اكثر من صحيفة ومجلة تزيف الحروف العربية ، وسبق ان سمعناها من الكثيرين من مراسلي بون « العرب » في العديد من صالونات السياسة بل ومن اكثر من قرد من الورق قد ثبت فوق كرسيه بدبابيس الاستعمار ...

والتفت اليه وهو لا يزال يحدق في وجهي قائلا والابتسامة في شفتي توشك ان تستفزه :

« اسمح لي ان اصارحك لا من اجل ان اكسبك الى صف قضيتنا ، فانا اؤمن تماما ان نوافذكم وابوابكم مغلقة كلها في وجه هذه الكلمات ، اننا لا نفتعل ضدكم المعارك ، ولو افتعلناها لكان في هذا هلاكنا. ان المعركة ضدكم وهي شيء اصيل كحقدنا الاصيل عليكم،، كنظام استعماري كريه ، وكورقة لابشع وابغض التقاليد الاستعمارية ان نضالنا ضدكم هو خبزنا وماؤنا اليومي ونحن لسنا اطفالا ابدا لنصدق انكم قدمتم هداياكم القذرة لاسرائيل ، لضغط من واشنطن ، ولستم كبش فداء كما تحاولون ان تصوروا انفسكم لنا ، ان هداياكم لاسرائيل وهداياكم لتشومبي وهداياكم لكل العملاء واعداء شعوبهم جزء لا يتجزأ من اسلوب حياة العائلة الاستعمارية التي تنتسبون اليها ، ومهما حاولتم ان تخبئوا خلف ظهوركم رأس عائلتكم الاستعمارية فلن تفلحوا ، فنحن نستطيع ان نلمح بصمات مخالبه مطبوعة بوضوح على جباهكم .

تذكرت هذا الحوار وانا اقرأ في بعض الصحف والمجلات واستمع الى تصريحات ذاك القرد القافز من المطاط من عاصمة الى اخرى، وهو يتفجع على خسائرنا الفادحة التي ستنجم عن مواقفنا من بون والتي نفتعل ضدها المعارك ، وعن سياستنا الثورية التي وقعت في كمين الغوغائية ... الى اخر « آه » من الموال الاستعماري المعروف ...

ولكنه لم يكن غير درس صغير القاه شعبنا العربي في كل مكان لقرد المطاط القافز ولكل قرد يقفز في واجهات السياسة الاستعمارية ، درس صغير ستتبعه دروس كبيرة ، تفقد قرود المطاط ، ليس قدرتها على القفز فقط ، بل قدرتها على التنفس الاصطناعي ايضا ...

من الذاكرة

صبا الفاهوم

معركة الصبيح

وقف في وسط المضافة الكبيرة وقذف بعقاله على الارض وهب الجميع وقوفا وهم يرددون مع صوت المؤذن الذي تعالى في تلك اللحظة من الجامع المجاور ، الله اكبر ، الله اكبر لبيك يا ابا الحسن لقد وصلت ولو على رقابنا . وتقدم منه دياب معاهدا : لن يبقى عقالك على الارض طويلا بل سنرفعه على أسنة الحراب باذن الله .. ولكن اخبرنا ما بك ؟

وبصوت متقطع بدا الشيخ علي النمر يخبرهم بنكبة عشرين من عرب السبارجة فقد هجمت عصابات الصهاينة عليهم غيلة وكان شباب العشيرة في المجيدل يردون هجوما هناك ، وفتك اليهود بالنساء والشيوخ والاطفال ..

ولم يستمع الشباب لبقية الحديث ولم تمض لحظات حتى اعتلوا صهوات الجياد يدفعهم حقد مرير على المعتدي الاثيم فيملا نفوسهم نارا تنتقل بقدرة قادر الى الخيل فتستحيل ارحابها الى اجنحة .

ومر المقاتلون على مبعدة قليلة بمستعمرة مسحة وتفادوا الاشتباك مع حراسها حتى يصلوا بغيتهم سالمين . وتقدم الفزيعة مع شباب العشيرة وقد عادوا من المجيدل وبداوا يقومون بحركة التفاف وهمية من جهتين اثنتين فاندفع العدو الى الجهة التي اراد لهم العرب الاندفاع فيها واطبق عليهم الشباب من الجهات الاخرى واطبق فكا الكماشة ودب بينهم الهرج في شانهم كلما ابتعدوا عن الاوكار واجبروا على المواجهة والهجوم .

واستمات الشباب في الدفاع فهنا الارض والعرض والدم وتساقط العدو قتل بالعشرات حتى وصلوا ١٨٣ قتيلا استلمهم رجال الهدنة عدا ونقدا .

ودخلت المسعفات المضارب ولم تجد جريحا واحدا لاسعافه واستبدلت الفتيات الضماد بالفاس وبدان بالمساهمة في شق التربة لدفن الجثث وبدات صفا بالتجول بين الجثث الملقاة هنا وهناك وكانها تحفر في صدرها جرحا لا يبرا ورايتها تقف طويلا في احدى الزوايا ودموعها تنهال على الخدين تالسيل ويدها اليمنى تنقبض وتنبسط وكانها تقبض على عنق عدو تتخيله امامها ، واقتربت منها وافزعتني نظرتها الناقمة مثبتة على الشابة المسجاة امامها وقد قطع منها ثديها الايمن وطرح بجانبها وسط بركة من الدماء ورايت طفلها الرضيع وقد زحف ووضع الحلمة في فمه يحاول امتصاص حياة ذهبت بذهاب صاحبتها ، ولم ادر اعف المجرمين عن الطفل سهوا ام حسبوه ميتا . واقتربت من صفا احرك فيها الجمود الذي سيطر على كل عضو من جسدها ورايت شفتيها تتحركان وكانها تردد قسما للجثة المسجاة امامها ، وقدتها الى الخارج .

ومرت سنون ورايتها البارحة وقد عادت الى لباس الميدان وسالت : اتدريب من جديد ؟

وتمتمت : بل

وهل ستعودين للمعركة ثانية ؟

واكتسى وجهها بصفرة وجمود غريبين افزعاني واعاد الى ذهني صورتها منذ سبعة عشر عاما وقد وقفت على جثة القتيل تردد القسم .

● ● ●

فلسطين
ملحق
المحرر

صاحبها
هشام ابو ظهر
رئيس تحريرها
غسان كنفاني

مديرها المسؤول
فيصل السماك
المشرف الفني نبيل ابو حمد

تصدرها : المؤسسة الصحفية للنشر والانتاج
العنوان : بيروت بناية اللعازارية 3- A
ص.ب ٥٣٦٦ - هاتف ٢٥٣٧٠٠ - ٢٥٨٢٦١ - ٢٣٥٩٥٢
طبعت على اوفست مطابع منظورة